

المحور الثالث: خصائص السياسة الخارجية وأهدافها

أ- **خصائص السياسة الخارجية:** يذهب معظم دارسو العلاقات الدولية إلى أن للسياسة الخارجية خصائص وسمات محددة:

- فهي تعبر عن التوجهات الخارجية للدولة في مواجهتها للعالم الخارجي.

- وهي تعبر عن سياسة رسمية للدولة يتبناها جهاز الدولة التنفيذي.

- هي سياسة معلنة: وتحليلها يتم عبر تحليل السياسات والتصريحات المعلنة الرسمية.

- هي ما يصدر عن الممثلين الرسميين للدولة الواحدة كونهم هم القادرين على إلزام الوحدة بتعبئة مواردها من أجل تنفيذ تلك السياسة.

- هي برنامجية: أي تعتبر مركبة ومتعددة الأبعاد، فهي تتضمن أبعاد ذات طبيعة عامة مثل: توجهات، أدوار، أهداف، استراتيجية، وأبعاد ذات طبيعة محددة: وتتمثل في قرارات وسلوكيات.

كما يمكن فهم ظاهرة السياسة الخارجية من خلال دراسة سماتها الرئيسية التي تنحصر في عدة أبعاد:

أولاً، مدى أهمية السياسة الخارجية بالنسبة للوحدة الدولية. فالسياسة الخارجية قد تضطلع بوظائف معينة في ميدان تأمين المصالح الخارجية، ودعم الاستقلال السياسي، وبناء الشرعية السياسية، وتحقيق التنمية الاقتصادية، ودعم التكامل القومي والاجتماعي.

وقد لا يكون للسياسة الخارجية إلا أهمية محدودة في حالات دول الحياد القانوني والحياد السياسي الدائم والدول المهزومة عسكرياً والدول محدودة الموارد وغيرها. ويتطلب ذلك من القائد السياسي أن يحدد وظائف السياسة الخارجية في برنامج السياسة العامة، وصياغة برنامج سياسة خارجية يتواءم مع القدرات المتاحة، ومرحلة التطور السياسي والاقتصادي للدولة.

أما ثاني تلك الأبعاد فهو مدى استقلالية السياسة الخارجية سواء فيما يتعلق بدرجة المبادرة أو رد الفعل، أو مدى انفرادية أو جماعية عملية تنفيذها، أو مدى استقلالها عن القوى الاجتماعية الداخلية. من ناحية ثالثة، فإن السياسة الخارجية تختلف بمقدار توزيعها بين وحدات دولية أخرى. فقد تتجه السياسة الخارجية

إلى التركيز في اتجاه وحدات دولية محدودة أو إقليم أو أقاليم محدودة وقد تتوزع بين مختلف الوحدات الدولية.

من ناحية رابعة، فإن تنفيذ السياسة الخارجية يتطلب توظيف أدوات معينة، وهي الأدوات الدبلوماسية، والاقتصادية، والعسكرية، والسياسية الداخلية، والاستخبارية، والرمزية، والعلمية والتكنولوجية، والموارد الطبيعية. وهذه الأدوات تطبع السياسة بطابع معين، كأن يكون للسياسة الخارجية طابع عسكري أو اقتصادي.

من ناحية خامسة، تدور السياسة الخارجية حول قضايا معينة. والقضية هي مجموعة من العلاقات ذات الخصائص المشتركة والتي تتسم بوجود قيم وهيكل وفاعلين متميزين وبتفاوت وجهات النظر حول كيفية التعامل معها. وقد تكون تلك القضايا أمنية عسكرية، أو سياسية دبلوماسية، أو اقتصادية تنموية، أو ثقافية علمية. وتتفاوت السياسات الخارجية بتفاوت القضايا التي تدور حولها.

من ناحية سادسة، فإن السياسة الخارجية تتغير بشكل تدريجي وذلك نتيجة لطبيعة تلك السياسة، أنها تتضمن ارتباطات خارجية قد يصعب تغييرها بشكل مفاجئ. بيد أن الطابع التدريجي للسياسة الخارجية لا ينفي إمكانية حدوث تغير جذري في فترة زمنية وجيزة في تلك السياسة. ولكن هذا الشكل من التغير نادر الحدوث ولا يتم بشكل مفاجئ، كما أنه يحدث غالبا في الدول التسلطية.

في حين اقتصر بعض الباحثين على ثلاث عناصر أساسية تتكون منها السياسة الخارجية: يتمثل الأول في الطرف الدولي الذي يصدر عنه النشاط أو السلوك في السياسة الخارجية، ويدور الثاني حول القضية أو الموقف الدولي الذي يتطلب فعل أو رد فعل من الأطراف الدولية، أما الثالث فيتجسد في تلك القرارات التي تتخذها الوحدات الدولية لتحقيق أهداف مرتبطة بالموقف الدولي. وبالتالي فالسياسة الخارجية هي عبارة عن تفاعل هذه العناصر في إطار بيئة دولية غير ثابتة.

ب- أهداف السياسة الخارجية: حين تضع الدول أهدافها وتعمل على تنفيذها تضع أولويات لها، وتأتي في مقدمتها أهداف حماية المصالح العليا والحيوية لها، وهي الأهداف الثابتة والمباشرة كالدفاع عن البلاد وحماية أمن وسيادة الدولة، وسلامة أراضيها ورعاياها وتحقيق الرفاهية ومقاومة العدوان الخارجي على أراضيها، ولذلك لا تفرط بها ولا تساوم عليها، ولا تمنع من خوض الحرب في سبيلها.

أما الأهداف الأخرى غير المباشرة، فهي كالأهداف المتعلقة بتعزيز المكانة الدولية والإقليمية لها، وتفعيل نشاطها وروابطها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحل المشكلات والمنازعات، وعقد المعاهدات، وهنالك أهداف بعيدة المدى كالتنمية والتقدم في المجالات العلمية، والتي تأخذ حيزاً زمنياً طويلاً لإنجازها، وهناك أيضاً التكامل والتعاون مع مختلف دول العالم. غير أن أولويات السياسة الخارجية تتغير عبر التفاعلات الدولية والإقليمية فقد تقفز بعض الأهداف إلى المقدمة، أو تتغير أولوياتها سيما زمن الحرب، أو وقوع أحداث خطيرة في دول الجوار والدول الأخرى. وعلى ضوء أهداف الدول وسياساتها تنشأ التحالفات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتعاون بين الدول التي تتشابه أهدافها، أو تنشأ الخصومات السياسية والحروب والصراعات بين الدول التي تتعارض أهدافها ومصالحها الحيوية والثانوية.

أما أهداف الحالة الناشئة التي تتخذها الدول كنتيجة للأوضاع الدولية الجديدة التي تظهر فجأة نتيجة أزمات أو سياسات دولية أو قضايا تعرض على المنظمات الدولية، فإن الدول تتعامل معها استناداً إلى أهدافها ومبادئها العامة، وتكييفها وفقاً لمصالحها.

ومنه يمكن تلخيص بعض الأهداف الأساسية المرتبطة بكيونة أي وحدة سياسية واستمراريتها، أهمها :

-المحافظة على استقلال الدولة وسيادتها وأمنها القومي.

-زيادة قوة الدولة.

-تطوير المستوى الاقتصادي للدولة.

-العمل على تثبيت معالم الثقافة ونشر الإيديولوجية للوحدة السياسية.

-العمل على تدعيم أسس السلام الإقليمي والدولي.

3- أنواع السياسة الخارجية :

إن تصنيف السياسة الخارجية أمر غير متفق عليه، فقد اختلفت تبعاً لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل فريق لهذه المسألة:

أ/ من حيث صنع القرار : سياسات خارجية ديمقراطية وأخرى تسلطية

-السياسات الديمقراطية يكون فيها صنع القرار معرضا للتقييم والمتابعة من قبل مؤسسات منتخبة ديمقراطيا، وهنا تتوزع مسؤولية تحديد أهداف السياسة الخارجية وصنع قراراتها بين أجهزة مختلفة، رغم أن الإنجاز والبلورة الميدانية تتحكم فيه السلطة المركزية، وحسب نظرية الفاعل العقلاني فإن هذه الاعتبارات لا تسمح بمرور الاختيارات غير العقلانية.

-أما السياسات التسلطية فتتميز بمركزية شديدة عند تحديد الأهداف وصنع وتنفيذ القرارات، بحيث تخضع في غالب الأحيان إلى الاعتبارات الشخصية، الأمر الذي يجعلها عرضة للأخطاء والتناقض والمخاطرة.

ب- من حيث الأهداف :

-سياسات تتوخى تحقيق أهداف التوسع والهيمنة، وعادة ما تتورط مثل هذه السياسات في نزاعات وحروب مع بقية وحدات النظام الدولي.

-سياسات تسعى إلى تحقيق أهداف سلمية وتعاونية دون أن تكون لها رغبة في توجيه الآخر أو التأثير عليه، وهي سياسات تدعم عوامل الاعتماد المتبادل في النظام الدولي.

ج- من حيث علاقتها بالقيم والمبادئ: سياسات أيديولوجية كونها تتأثر بالمبادئ الأيديولوجية التي يؤمن بها النظام السياسي وتسعى إلى صياغة قراراتها وبلورتها في الواقع العملي على ضوء ما ترسمه هذه المبادئ، وعادة ما تسعى تلك الدول من خلال سياستها الخارجية إلى تصدير مبادئها الإيديولوجية إلى دول أخرى.

- سياسات براغماتية وهي عكس الإيديولوجية حيث تسعى إلى التعامل مع حالات السياسة الخارجية وفق طبيعتها وما تمليه عليها مصالحها المادية والنفعية الآنية. غير أن العلاقة بين المبادئ والسلوك الواقعي قد تتخذ مسارات جد معقدة لم تفصل النقاشات الأكاديمية إلى يومنا هذا في شكلها ومضمونها.